

الى معالي وزير المعارف

التعليم الزراعى

دهوتك لا برانى البلاد وأوهن رجلى ثقل الحديد
وقد كان مشيها فى السال قد صار مشيها فى القيود
وكنت من الناس فى مهمل فما أنا فى مهمل من فرود
فلا تسمعن من الكاشمين ولا تمان ببجل اليهود
وكن فارقاً بين دهموى أردن ودهموى فقلت بشاؤ بييد
(النبي)

مضى ربع قرن والتعليم الزراعى فى مصر - عدا الجامى منه -
واقف فى مكانه لا يتحرك ولا يتزحزح ، ولا يشمر بأن الحولوث
حواليه تنطلق إلى غايتها فى عنفوان وتشتد إلى غرضها فى عزم .
أما هو فقد تخلف فى سبات عميق لا يخضع لسنة الطبيعة ولا ينزل
على حكم التطور . ولشد ما آلمنى - حين قد رلى أن أغتم
فى غمار هذا النوع من التعليم - أن أجده متفككا يتداعى
من هوان ومن ضعف ؛ وليدت ما ليبت أسوق النفس سوقاً
إلى غاية ، وأنا أرى وأجل النفس على الصمت ، ثم أشر رأيت
على صحابى - بين الحين والحين - فلا أجد إلا الجلود التى نفته
الاستسلام ، والجنود الذى ولدته سخرية الرئيس من آراء
مرءوسيه والنهك بها والامتهان لها ، نتيجة التزمت والكبرياء .
والآن هبت الوزارة ، أو بالأحرى مراقبة التعليم الزراعى ، تسمى
إلى تهذيب هذا النوع من التعليم وتريد إصلاحه . فلدت
أن أنتقل إلى قراره على أستطيع أن أبدى سوءاته أو أن أتق
عنه خبثه ، وما لى بعد ذلك إلا أجر العامل المجد أو جزاء
الناصح الأمين

والتعليم الزراعى فى مصر - عدا الجامى منه - يتكون
من المكاتب الزراعية ومن المدارس المتوسطة ، وسأحاول جهدى
أن ألم شعث الموضوع فى نظرة فاحصة سريعة .

أولاً : المكتب الزراعى

فكرة الرئساء

نشأت فكرة المكتب الزراعى - أول منشآت - سنة ١٩٣٥ ،
وابتداء تنفيذ هذه للتجربة فى سنة ١٩٣٦ . وفى الحق لقد كانت

للفكرة جيلة تختاب النظر والقلب معاً وتستحق للثناء والشكر ،
لأنها تحقق غرضاً سامياً ، وتغلب فراغاً استشرته مصر الزراعية
منذ زمان . وهى فى لبها ترى إلى أن تنشئ طائفة من
أبناء صفار الزراع تنشئة تتفق والنهضة الحديثة التى قطمت
للبلاد فيها شوطاً غير قريب ، ثم ندس بهم بين آياتهم وأهليهم
لينهضوا بهم وليكونوا نواة للعمل العظيم الذى ينتظرهم بمد ، وهو
أطراح الطرق الزراعية للثيقة والأخذ بالحديث منها . غير أن
شيثاً عدل بالمرض عن وجهته الأولى فأصبح يرى إلى تخرج فئة
من أشباه الموظفين والعمال يقومون على إدارة الدوائر والضياع
والإبساتين . واتخذت للتجربة سبيلها فى مكاتبين ملحقين بمدرسى
الزراعة المتوسطة بالنيا ودمهور ، ولتحقق بالمكاتبين صبيان أعوا
التعليم الإلزامى ليتخرجوا بعد سنوات ثلاث

وارتطم المشروع بالصدمة الأولى ، بقلة عدد التلاميذ ،
فكاد يهوى ، لولا أن حكمة للقائمين على العمل تداركته ففتحت
أبواب المكاتبين على مصاريهما لأبناء اللفطة والعمال والصناع
والزراع على السواء ، فتم عدد للتلاميذ عشرة فى كل من المكاتبين
وسار دولاب العمل ...

نظام الدراسة ومصرها

الآن "حق" لابن للصانع والعامل و ... أن يلتحق بالمكتب
الزراعى ليتخرج بعد ثلاث سنوات طاملاً لا يستطيع أن يجد عملاً
أو أن يمين أياه أو أن يفيد وطنه أو يحقق للفرض الذى من أجله
أنشىء المكتب . وماذا يفيد الصانع أو للعامل أو الزراع نفسه
أن يلقى ابنه - وقد شب وترعرع - يندو إلى المكتب ويروح
إلى الدار وهو فى حاجة شديدة إليه ، فراح كل منهم يحول بين
ابنه وبين المكتب ؛ فأوشك هذا للعمل - وهو جليل - أن
يتوارى عن الأنظار لولا أن أدركته حكمة الرؤساء مرة أخرى ،
فخولوا للتلاميذ أن يحضروا متى شاءوا وأن يمتنعوا عن الدراسة
متى أرادوا ، دون أن يبدى الواحد منهم عذراً ، أو أن يحتمل
لوماً وتأنياً ، أو أن يؤخذ أبوه ؛ فانطلق للتلميذ إلى غيبه يهرب
حين يلذ له الهرب ، ويسكن إلى أمه أو أبيه حين يطيب له ذلك .
وهكذا تداخت أبسط مبادئ الأنظمة ، واختل نظام للعمل ،

رهقاً ولا عنتاً ، وهو حين التحقق بالمكتب الزراعي لم يقدر أن يحمل ما لا طاقة له به

هنا ، في هذا المكتب ، برزح الصبي تحت ثقل ينوء به ، فالمعلم كثيرة متراكبة ومتشابهة ، ومواد للمعلم الواحد أو فرع للمعلم طويلة عملة ، فاذا وراء أن يدرس للتلميذ في المكتب - مثلاً - منهجاً طويلاً في مسك الدفتر فيه : اليومية ، واليومية الزفرة ، والأستاذ ، وحساب الأرباح والخسائر ، والميزانية ، والأوراق المالية و ... مما يهبط عقل للتلميذ ويتركه في حيرة من أمره ويطغى

على وقته ؟ وماذا وراء أن يتلقن الصبي في مكتبه ما يتلقاه طالب الزراعة المتوسطة سواء بسواء ؟ وهكذا نرى النهاج في كل فروع الدراسة طويلاً ومعقداً ومملأً ، حتى منهج الزراعة نفسها ؛ وقد لا يرتبط في كثير من الأحيان بالناحية العملية ، وهو إن مات إليها بسبب فلكن يرى للتلميذ التجربة مرة واحدة ثم لا يعود ؛ في حين أن ما نبتنى هو أن يشهد التجربة ويعملها بيده مرة ومرة ثم لا يعتمد عنها ، وأن يعرف أشياء كثيرة عن منتجات الألبان وتربية الماشية ودودة القز والنحل ثم للصناعات الزراعية مما يجمله الزراع أو يهمله أو لا يعترف بفائدته الحيوية والمادية

ثم كيف يأخذ المدرس على عاتقه تدريس مادة لهؤلاء التلاميذ الصغار إن لم يكن بين أيديهم مراجع يرجعون إليها إن أعوزهم الأمر أو خانتهم الذاكرة ؟ لا ريب أن التلميذ لا يستطيع أن يحفظ كل ما يلقى عليه وهو كثر ؛ والمدرس لا يستطيع أن يهق للتلميذ بالشراء أو الطبع وهو يعلم أنهم فقراء يجدون مسالموز ، وأن المكتب يقوم على تربيتهم مجاناً ، بل ويجبهم بالكل والملبس . إذن لا بد أن يجد أسهل سبيل يباغ به غايته ، وهو الإملاء

وهنا ... هنا فقط شملت الإملاء - دون للشرح - كل وقت للصبي ، وانحى كل مبدأ أو مذهب يرتكن إليه للتدريس للفني ؛ وإذن ذهب التلميذ يكده ذهنه ليحفظ مجارب وعمليات وأسماء وموضوعات سطرت على القرطاس وعمى بصره عن أن يراها في الحقل . وانتهت الحياة به إلى ما ينتهي إليه كل طالب حين يخرج من مدرسته ، لا يتعلم إلا أنه فوق مستوى للفلاح ، فهو يأبى أن ينزل إليه وهو لا يعرف أن يسمو عنه .

(•)

« الموضوع تكلمة »

وانهد الركن الزكينة في سير الدراسة ، ولست أدري ، ماذا عسى أن يكون هذا الطفل بعد حين وهو قد درج على ألا يابه لنظام ولا أن يهتّم بيماد وانفع الصبي وأبوه بتأليان - وقد نام الرقيب - فينتطوي للمام الدراسي كله ولما يحضر للتلميذ غير شهر أو بعض شهر ، ثم هو لا يحمل مثونة الاختبار ولا نصب الاستذكار والمطالمة ولا يصبر على قسوة العمل ، فهو منقول إلى السنة التالية بدون شرط ولا قيد ، وتنفضي السنوات الثلاث فإذا للصبي المتخرج في المكتب جاهل يرتدغ في جهله

وتساهل للقانون مرة أخرى وأغضى ، فصرح للتلاميذ أن يحضروا دروسهم في أسمال بالية ، حفاة عمارة الرءوس ، تأكلهم الوساخة و ... على حين أن الصوت قد يُجّج من طول ما نادى بوجوب تنظيف الفلاح وترتيب حياته على نسق ، أما هنا فأصبح الإهمال والقذارة قانوناً ...

وانطوت السنون فإذا المكتب كله ينضم على أحد عشر بينهم الناظر وليس بينهم أي مدرس ، فدرسوا المكتب هم بعض مدرسي مدرسة الزراعة المتوسطة

ومن غريب ما يروى أن ناظر هذا المكتب كان يقضى يومه لا عمل له إلا أن يكتب الرسائل إلى الوزارة ويستقبل الرسائل منها . ولم ؟ لأن للصبي يقضون يومهم في الحقل أو في مدرسة الزراعة المتوسطة ، فهناك يشهدون للتجارب العملية ويمولون بأيديهم ، وهنا يلقون دروسهم على أسانديهم

عجيب أن نخشى فنقول إن التلميذ في هذه السن الصغيرة يستطيع أن يدرك للتجارب الزراعية الحديثة ، أو أن يطبقها ويقارن بينها وبين القديمة ليمرر للفت من الممين ، وعجيب أن نخشى - مرة أخرى - فنقول إننا نستطيع أن نهي هذا الصبي في ثلاث سنوات ليكون زارعاً من الطراز الأول

وإذن يتراءى لنا - لأول وهلة - قصر مدة الدراسة ، فما للتلميذ بمسطيع أن يستوعب شيئاً ، ولا المدرس بمسطيع أن يحشو ذهنه للنض

مناهج الدراسة

هذا الصبي الصغير قد تنقف ثقافة أولية بحثة لم يلمس فيها